

الآن الممتد وكيونة الذات في الخطاب الشعري الجزائري المعاصر

The Expansive Now and the Being of the Self in Contemporary Algerian Poetic Discourse

رشيد كريبع

جامعة الإخوة منتوري قسنطينة¹
(الجزائر)

Rachid.kriba@umc.edu.dz

حسينة بن ناصر*

جامعة الإخوة منتوري قسنطينة¹
(الجزائر)

hassinadoct12@gmail.com

تاريخ النشر: 2026/06/07

تاريخ القبول: 2026/05/12

تاريخ الاستلام: 2026/02/08

ملخص:

في ضوء المقاربة السيميائية للعلاقة بين الذات والزمان في الخطابات الشعرية الجزائرية المعاصرة، حُصِّت الوحدة الزمنية الأصغر "الآن" المرتكز الدلالي للدراسة، وذلك لما يحمله من تفصيل زمني، يحمل في ذاته مفارقة الاتصال والانفصال في آن معا، ما يخلق توترا في العلاقة بين الذات والزمان، وبينه وبين الزمان في صورة الماضي، والحاضر، والمستقبل، والأبدية، ومن خلال هذه العلاقة يتفجر المعنى في سياقات مختلفة للترابط العضوي بين "الآن" و"الذات"، حيث تولد في لحظتها لتقرر اتجاه الحدث، الذي يكشفه تجلي الأفعال المختلفة، في حركتها أو سكونها، وقد اتخذت هذه المقاربة الشعر الجزائري المعاصر أنموذجا للدراسة التطبيقية.

الكلمات المفتاحية: الزمان، الآن، الذات، الماضي، الحاضر، المستقبل.

Abstract:

Within a semiotic approach to the relationship between the self and time in contemporary

Algerian poetic discourse, this study foregrounds the smallest temporal unit—the “now”—as its central semantic pivot. This choice is motivated by the dense temporal articulation inherent in the “now,” which embodies a paradox of simultaneity between continuity and rupture. Such a paradox generates a sustained tension in the self’s relation to time, as well as in its negotiation with temporality as past, present, future, and eternity. Through this dynamic, meaning erupts across multiple contexts, shaped by the organic interconnection between the “now” and the self. The “now” comes into being at the very moment of enunciation, determining the direction of the event as revealed through the manifestation of diverse actions, whether in movement or in stasis. Contemporary Algerian poetry is adopted as the applied corpus through which this semiotic perspective is examined and articulated.

Keywords: time; the now; the self; past; present; future.

1. مقدمة:

إن الحديث عن "الآن" هو حديث عن أصغر نقطة زمنية لا تقبل الانقسام، غير أنها أكثر عمقا وأكثر حضورا في الفكر الإنساني، لأنها تمثل لحظته الوجودية الآنية الفارقة، وإن كان "الآن" ظرف الوقت الحاضر، فإنه يعرف عند (الشريف الجرجاني) بأنه: "اسم للوقت الذي أنت فيه، وهو ظرف غير متمكن وهو معرفة ولم يدخل عليه الألف واللام للتعريف؛ لأنه ليس له ما يشركه"¹، كما أنه الحد، والفصل الواصل بين جزئي الماضي والمستقبل، يكون فيه "الآن" نهاية الماضي وبداية المستقبل، وبذلك فإن "الآن" قاطع للزمان باعتباره كما منفصلا، وبوصفه واصلا باعتباره قطعة من الزمان. كما أنه لا يمكن إدراك الزمان دون تمييز الحركة من جهة المتقدم والمتأخر، باعتبار أن الزمان يقيس الحركة بالمتقدم والمتأخر²، وقد أسهب العلماء والمفكرون الحديث عنه في سياق حديثهم عن الزمان وتقسيماته، ومن ثم الحديث عن "الآن" باعتباره مسألة معقدة من مسائل الزمان.

وتشكل العلاقة بين الذات والآن جدلا مستمرا، وتوترا عميقا، ذلك أن علاقة الآن بالذات، أو علاقة الذات بالآن، جزء من العلاقة الجدلية بين الاتصال والانفصال التي يحكمها معا (الذات والزمان). ويظهر الآن في الخطابات الشعرية لأغراض تنظيمية تنسيقية، كما يظهر لأغراض دلالية إيحائية مختلفة، حيث تتدخل الذات في تشكيل هذا "الآن" الزماني بطريقة مختلفة في تركيبات لغوية تظهر علاقة الحركة الزمانية الخارجية التي تمثل الإيقاع الطبيعي للزمان بالحركة الداخلية التي تبرزها التجربة الباطنية وتفاعلها مع هذا الكل المركب، إن وعي الذات في القصائد الشعرية يشكل "الآن" بتشكيل اللغة والصورة، وتشكل الأحداث التي تبحث عن الحقيقة في السياقات الدلالية للخطابات الشعرية، فالآن الذي يمثل نقطة عبور من الماضي إلى المستقبل هو نتاج هذه العلاقة. فما الذي تمثله اللحظة الآنية في سلسلة الآنات الزمنية للذات؟

2. الآن وعلاقته بالماضي:

إن فكرة الآنية تفسر العلاقة الوطيدة بين الذات والماضي، إذ يترك الماضي أثره في حياة الذات وينعكس ذلك على أفكارها وسلوكها، وذلك ما يجعل اتصال الذات في "الآن" بما كان قد حُزن في فكر وسلوك وعادات الذات سابقا، حتمية غير منفصلة عن استمرار الذات في الزمن الماضي، ويظهر ذلك في بعض قصائد (الأخضر بركة)، من مثل: "الدغل، الطبل، قربة الماء المريض، وطواويس"، فمن "الدغل" يقول:

أَيَقْظَنِي مَنِّي ازْدَحَامُ الكَذْبَةِ / عند بابِ الحبرِ، مَسَاحُ الحِذَاءِ الفقْمِ، / مِمَسَّارُ الصَّدَى، البهلُولُ في الحجرِ وبعضُ
الدَّبَبِ / حَوْلَ خِوَانِ الصُّدْفَةِ التُّفُو عِطَاشًا يَكْرَعُونَ اللَّبَنَ / المَهْدُورَ مِنْ ضَرْعِ شَهْيِ الحَلْبِ، لم أَدْرِ بَأَنَّ المَأْدُبَةَ / في
مَكْتَبِ الدُّهْمَاقِ مِيزَانِيَّةً مَنْزُوعَةً مِنْ لَحْمِ طَلَابِ الغَدِ / المَنْدُورَ للرُّؤْيَا، / وَضَجُوا... / فجأة ... كل يريد الآن أن
يقتص من آخره، أن يخلع السروال للآخر فيه، اكتمل الدغل فمن يصطاد من...؟ / ها الآن من قيلولة الذئب إلى
إغماضة التمساح يمتد الرباط، / هادئ الصنارة استلقى على مقعده الشيء، وماء الحوض مكتظ دعاميص،
وفزاعات ألقاب على الأبواب.³

يتكتّف المعنى في علامات رمزية تستحضر زمنين مختلفين تمثّل الزمن الأول في الماضي، والزمن الآخر في الحاضر، وقد تحركا معا بالوقوف عند أربع مركّزات دلالية "أيقظني، الصدفة، فجأة، الآن"، وهي تلتقي معا عند رمزية "الآن" التي تفسّر معنى العودة إلى الوراء لتفسير الحاصل في اللحظة الآنية الحاضرة، ويحاكي النسيج الرمزي في بنية الخطاب الشعري الزمان باستحضار الحدث في الزمان الماضي، ويبدأ مع الفعل "أيقظني" والإحالة المباشرة إلى الذات المحورية التي يدور حولها فعل الإيقاظ مع ضمير المتكلم المتصل "ي"، وإن كان المتلقي يحاكي مرجع الإيقاظ في النوم؛ فإنه في هذه البنى يحاكي ذاته، "أيقظني مني"، والتي تأخذ من مرجعية: النوم، الغفلة، السكون، واللاوعي، والغياب، كما الانفصال عن الحاضر، والزمن الماضي المتمثل في حدث ما قبل الإيقاظ، وما تحمله معها من سياقات دلالية يمثّل فيها إيقاظ الحقيقة التي تتقابل مع فكرة الكذب "الكذبة" وما تحمله مفارقة القيمة الإيجابية للإيقاظ الحقيقة والوعي، والحضور بعد غياب، ومثله الاتصال والانفصال على مستوى الوعي، وما أحال إليه النوم والاستيقاظ، في مقابل القيمة السلبية التي تحضر مع حضور و"ازدحام الكذبة"، وما يصوره فعل الازدحام من تكثيف لحضور هذه القيمة في "الآن" الحاضر، إضافة إلى مفارقة "باب العلم"، في رمزية علو المقام، مع "مساح الحذاء" التي تظهر التناقض بين الفكرتين، كما رمزية "الصدفة" التي تجمع بين دلالة الماضي وما تحمله من فكرة سابقة مشتركة في الماضي، وحملت معها الآخر في جموعه "الكذبة، مساح، سمسار، البهلول، الدببة" وما يتضمن من تجربة الصفة قبل وقوعها في الحاضر، إذ تحمل في ذاتها أحداثا وأسبابا وتقاطعات شكلت معنى الازدحام، ليتلاقى مع فعل الحضور حول غاية جامعة تكشفها "خوان" الذي عبر عن جوهر فكرة التلاقي حولها، وعمل فعل الحضور في الآن بالصدفة، وهو تبرير يجمع غاية الأمل لتحقيق في الحاضر، "المأذبة في مكتب الدهاق"، والتي تقطع فعل الصدفة وتحولها إلى حقيقة واقعة، فلا "مأذبة" بلا تخطيط، وتحضير، وموعد، إضافة إلى عنصر "الفجأة" الذي يقترب من فعل الصدفة غير أنه يكشف عن النوايا الخفية في الماضي لهذه الصدفة الجامعة، لـ"ازدحام الكذبة"، فلم يكن لحدث الازدحام أن يتشكل لولا فعل التراكم القبلي للصدفة المتوجهة في طريق واحد نحو الوقوف على الحاضر حول الغاية ذاتها، والذي خلق حدث ما بعد الصدفة وهو "فجأة" ومعه يتجلى "الآن" الرابط بين زمنين "حاضر، ماضي" "فجأة.../ كلُّ يريد الآن أن يقتصّ من آخره،/ أن يخلع السروال للآخر فيه، اكتمل الدغل/ فمن يصطاد من...؟"، ويتحقق تجلي "الآن" في الحاضر المطلق مع الفعل "اكتمل" ويحمل معه التوتر الدلالي الذي حملته معها، "أيقظني، الصدفة، فجأة" لتتعرى النوايا والأسباب الماضية في الآن الحاضر، مع فعل "يقتصّ" وتحويل حدث الصدفة وأسبابها إلى واقع يتعرى فيه الجماعة أمام حقيقتهم، وحقيقة مفارقة الاجتماع، والاتصال حول "خوان الصدفة"، والافتراق والانفصال حول فعل "يقتصّ" وما يحمله من علاقة مباشرة بين الحاضر والماضي، حيث لا تظهر رمزية "يقتصّ" بمفهومها الانتقامي والعقابي دون علاقة مسبقة بجرم واختلاف سابق في الماضي، ويمتد المعنى مع امتداد "الآن" في حضور "ها" التنبيه التي تعمل على توكيد اللحظة الزمنية لاكتمال المشهد: "ها الآن من قيلولة الذئب إلى إغماضة التمساح يمتد الرباط" يحصر فيها فعل القيلولة والإغماضة، لما تحمله قيلولة الذئب من الشبع والانتباه الحذر، كما إغماضة التمساح التي تحمل اليقظة المستمرة،

وعلامات النوم بعين مفتوحة، وبينهما يحضر الحرص، والحرس الشديدين على تحصيل الماضي في الآن، عبر اللحظة الآنية، والتمسك بها، لتمتد مع امتداد الفكرة في الزمن.

كما حمل سياق حضور "الآن" في قصيدة "الطواويس" علامات إيجابية تحاكي الزمن الآني الحاضر في علاقاته بالزمان الماضي وبالوقت، وقد اشتغل مع تظاهرات دلالية أخرى لإيصال المعنى:

حتى إذا ما نفذ الزاد وصادوا ما أرادوا/ كمشوا أغراضهم وانكمشوا في ظل قيطون العشيّة./ ما الذي يحرق أرض اللغة الآن سوى غربة هذا الجسد/ المصقول بالكيد المتين/ ما الذي استشرى سوى أن الهواء الآن من كل رثا/ أثنتها خيلاء الحمق مطروء،/ أرى مخطوط شيخ الوقت في درج اختبارات يراي / شعة تكفي لفصح الظلمة المكتظة الأمعاء في بطن الزمان⁴.

تستمد العلامة الرمزية "يحرق" وجودها من معنى تقليب الأرض، وتحويلها لتصير صالحة للزراعة أو البذر، وهي في هذا السياق الدلالي المرتبط باللغة تحاكي مرجعيتها في تفعيل المحاصيل في الأرض، وتفعيل المعنى في اللغة، وتربط هذا الفعل بالآن الحاضر ليكون فيصلا بين زمنين مختلفين، وبين حدثين مختلفين حدث "نفاذ الزاد"، الذي يدل على الانتهاء، وحدث ما قبل النفاذ، الذي يدل على الوفرة، لأن الذي يحدث في "الآن" هو تغير القيمة "الزاد" من وفرة إلى نفاذ، واستبان هذا التغير في "الآن" الزمني الحاضر ما يجتمع فيه من حدث الأمس، وقد ظهر الماضي مع التظاهرات المختلفة للأفعال "صادوا، أرادوا، كمشوا، انكمشوا" في محاكاتها للآخر الذي غير الحدث من وفرة إلى نفاذ، وانسحب مع "انكمشوا" بعد تحصيل القيمة، كما كشفت هذه الأفعال الماضية عن إرادة السيطرة التي تقمصها هذا الآخر، وقد أبانت ملامح الحدث المسند له، تحولا على مستوى الذات في "الآن" عبر تحول في النشاط الانفعالي المقابل للنتيجة التي ظهرت في "الآن" مع حدث "نفاذ الزاد"، وهي في ذلك تحدث مفارقة بين الحدث والقيمة في الماضي، "انكمشوا في ظل العشيّة" وبين الذات واللغة "غربة هذا الجسد" في الحاضر، وبين ظل العشيّة وغربة الجسد مفارقة كبرى تقف عليها اللغة لتعبر عن معاناتها وغربتها الجسدية والنفسية، وبين "ظل، وغربة" اتصال وانفصال على المستوى الاجتماعي، والنفسي، وإن السؤال الاستنكاري بصيغته الحصرية في "ما الذي .. والآن سوى..". يربط بين الألم واللغة ربطا إبداعيا "يحرق أرض اللغة"، وبين الآن والماضي ربطا استنكاريا، يكشف فيه حقيقة العلاقة بين الماضي ونتائج الحاضر "الجسد المصقول بالكيد المتين" الذي يتقابل فيه الفعل ورد الفعل.

كما حضر "الآن" في علاقته بالماضي مع الفعل "استشرى" الذي أحال إلى الهواء الملوث في انتشاره، وربط بينه وبين فعل الماضي، وما خلفه الآخر من أحداث، كما حملت في السياق الدلالي رمزية "خيلاء الحمق" مفارقة العالم العارف، والجاهل في المثول أمام الحياة، وربطت فعل الحرق بالأرض وشقها بالجهد والكد، ومحاكاة اللغة عبر هذا السياق، لما ينتجه فعل الحرق من قيم إيجابية لصور الإبداع والجهد العضلي والفكري، وإسناد ذلك إلى معاناة الذات الجسدية والنفسية، وأحال الفعل "استشرى" للهواء والفساد والقيم السلبية المرتبطة به، وإن كان حضور الهواء قد مثل في الصورة الدلالية؛ فإنه يعكس تلوث الهواء، وهو المسند إلى الآخر الذي اجتمعت فيه صورة

"الخيلاء، الحمق"، بوصفها قيمة سلبية يكشفها "الآن" الحاضر ليظهر مفارقة الذات مع الزمان في حصر المعنى عبر تحصيل النتائج، "المعرفة والحمق"، يتصل فيها الذات بالمعرفة، وينفصل فيها عن الحمق، ويتصل فيها الآخر بالحمق وينفصل فيها عن المعرفة، وتفعيل الزمان في علاقته بالذات والآخر مرآة الماضي في الحاضر يختبر فيها كل منهما في تجلي "الشمعة والظلمة، وتجلي الخير والشر" شمعة تكفي لفضح الظلمة المكتنزة الأمعاء في بطن الزمان، فالشر كعارض للزمان الجوهر "بطن الزمان" يبدده عارض آخر تنيره الشمعة في الدلالة على النور وهو الخير الذي يقاوم فعل النفاذ "نفذ الزاد"، ويقاوم "الغربة والكيد" بالمعرفة في الحاضر "الآن"، وتبديد الماضي في الآن، عبر تحويل اللحظة الآنية من ظلام إلى نور.

في سياق آخر لتلاقي الماضي في الحاضر عبر الظرف الزماني "الآن"، تحضر الذات شاهدة على فعلها، وتحوله من ماضٍ إلى حاضر، فمن قصيدة "قربة الماء المريض":

جالساً.../ في حِجْرِ لحظة شيخٍ وقتٍ مُثْنٍ بالزَّهْدِ في دنيا تمرُّ الآن/ حافيةً على أبواب سكان الكآبة⁵

في سياق العلاقة بين الذات والزمان تحضر الذات "جالساً"، في دلالة الثبات مع تجلي صفة الجلوس في "الآن" وتأخذ بذلك صفة الفاعل الذات والحدث معاً، وفيه تتمظهر الذات والفعل في تطابق كلي مع الزمن الحاضر تقبض فيها الذات على الزمان ويتوحد كليهما في اللحظة الآنية، وما يزيد هذا التأكيد في الاتحاد التام بين الذات والحدث والزمن "حجر لحظة شيخ الوقت" أين تشتغل دلالة "حجر" على مكان الاتصال "الحضن"، وعلى الوعي والحكمة التي يضيفها تركز الشيخ في المكان والزمان في سياق مثول الذات "جالساً" مستحضراً حمولة الذات الثابتة وجوهر الزمان المتغير، والمتشعب بالأحداث التي سبقت هذه اللحظة الآنية، وقد وصف هذا التوحد الذي وصل إليه بالزهد "مثنى بالزهد في دنيا تمر الآن"، وصورة "دنيا" مع الفعل "تمر" ليست وليدة اللحظة، ولكنها تتشكل في الماضي لتصل عبر مراحل من التأمل فيها إلى "الآن"، حيث تمتلئ الذات بمعاني الرحيل وتجاوز الماضي المكثف في "دنيا" عبر فكرة "مثنى" وإحالتها إلى الأحداث التي تحملها الدنيا، وهي إذ "تمر الآن حافية" تمثل دلالة الفقر الوجودي ونقصانها في حضرة قوة الزمان في صيرورته، وصغرها إزاء عناء الذات في مرضها أمام أبواب المستشفيات التي تظهت في بنية "أبواب سكان الكآبة" وقد صدّرت القصيدة بدايتها: "جالساً/ في قاعة الأمراض ملتفاً حول الروح القليلة أرقب الدنيا/ جالسا في الريح أصغي/ من سيأتي من رواق الموت/ من يأتي من الباب الذي"⁶، واستمدت طاقة الكآبة من المكان، الذي تتجمع فيه مجموعة من الأشخاص تحمل الماضي معها في الشعور بالألم والمعاناة النفسية والجسدية، التي تراكمت في الماضي وتكتنف عند لحظة فارقة في "الآن" يجليها "رواق الموت" وهو اختزال للعلاقة الفاصلة الواصلة بين الماضي والحاضر، والتأمل المستمر عبر "جالساً" يشي بحقيقة الدنيا ويعربها أمام الذات في لحظة تأملية يجتمع فيها الماضي والحاضر "الآن" معاً، ومستحضراً الماضي الذي شكل الدنيا في أمكنة تلتف فيها الذات حول روحها لحمايتها منه.

إنّ الحيات المستمرة في الماضي تراكم لأحداث مضت في الزمن، وقد بلورت هوية مغايرة للذات، وعلامات أظهرت نسقا مغايراً لطبيعتها، وإن كانت تحضر في "الآن" كحدث يستقر في حاضر الذات، فقد شكلت نسقا

من الرؤى والأفكار التي تربط بين الذات في حالة الخيبة، والزمن الآني الذي يمثل تمفصلا بين الماضي والحاضر، فمن "الطبل" يقول (الأخضر بركة):
 واصعد هابطاً، وزغرّد ودخّرْج/ كرة الوهم السمين الآن فوق الجسد المحفور خيبات، وضع ما بين عينك الهباء
 المتزّكي بُوصلة⁷

يشكل التقابل الضدي "اصعد هابطاً" صراع الذات بين أحلامها وتوقعاتها، وبين نتيجة الصدمة التي تؤدي إلى الهبوط في القيم التي كانت تتنامى ضمن الصعود، كما تحمل هذه المفارقة صدام الذات في صراعها مع الزمن، فالصعود هو بناء الذات الزمني للعمر والجسد، والهبوط هو العودة بتراجع الجسد والانحناء إلى الأسفل، وتشكل "الوهم" مع بداية الصعود الزمني الذي تغذى من عمر وجسد الذات، هو نمو تراكمي أحال إلى "سمين" الذي استحال "كرة" تندرج، توقظ توترا دلاليا وعدم استقرار للذات، فيكون هذا السياق الزمني هو ذاته الذي صنع الخيبة، كون صراع الدرجة بين قوتين لا تلتقيان يلغي بلوغ الغاية أو النتيجة لعدم استقرارها عند نقطة معينة، تبقي مصير الذات عند هذا التوازن المتدحرج، والخيبة تتحول إلى خيبات تترك أثرها المنحوت على الجسد، ومثلّ له لشدته بالحفر، وهي ذاتها الأحلام والتوقعات التي شكلتها أحداث الماضي واستحالت وهما، وهباء موجها وجوديا، "بُوصلة" وذلك مع تستخلصه الذات في وقوفها على الماضي واستخلاصها في الآن عبر علاقة جدلية مترابطة، تكشف علاقة الذات بالذي صنع الخيبة وإظهاره في صورة المادة، وتجسده خيبة في تجلي الجسد المادي وتشكل الحفر، وبين النصيحة التي تكشف العلاقة الوجودية بين الذات الجوهر التي تستمد كينونتها من تجاوز المادة عبر تركيبها من التعلق بالوهم والزمان في الآن، وعيشها كخبرة تحمل الاتصال والانفصال معا، الاتصال بالماضي في "الآن" كخبرات لا كخيبات، والانفصال عن الماضي كخيبات لا كخبرات، وهو ذاته ما يتشكل في الاتصال والانفصال عن المادة والجوهر.

3. الآن وعلاقته بالمستقبل:

في سياقات مختلفة للترابط العضوي بين الزمان الحاضر والزمان المستقبل، تتشكل الذات في علاقتها بين الزمانين من خلال تشكل الأحداث، وتحاكي الذات وجودها المستقبلي من خلال الوقوف على أحداث وخبرات "الآن" الحاضر، كما تتمظهر الذات الحاضرة في "الآن" عبر وجودها المستتر في قصيدة (عبد الرحمن بوزربة) "ممكن المستحيل":

أستطيع الآن/ أن أكون أكثر جرأة/ أتسلق أسوارك العالية../ أقفز إلى ساحة الممنوع فيك/ وأمشي إليك بثبات/
 على جثت حرّاسك و..مخاوفي/ أستطيع الآن/ أن أكون أكثر شراسة/ وأنا أمرغ صحرائي فيك/ أذوب جبالك
 الثلجية/ وأجذف بك شهقة أزلية/ في أنهار من الرغبة لا ضفاف لها/ أستطيع الآن/ أن أكون أكثر اشتعالا/
 أندلع فيك../ ألتهم حرائقي معك../ وأحتفظ لك في رماد النهايات/ بجمرة واحدة/ هي كل ما تبقى من أشجار
 غرورك../ أستطيع الآن/ أن أكون أكثر جنونا/ أفتح كل نوافذ الداخل/ أسدّ الشقوق التي/ أطفئ قناديل الكلام/

وفي سكون الليل المتفجع/ أعلمك طريقة اكتشاف الفرق/ بين العاصفة و..أنفاسي/ لأنك الآن بعيدة .. أستطيع أن أقرب منك أكثر.. / أن أتوغل في بساتينك أكثر⁸.

تكشف العلامات الرمزية في سياق الخطاب الشعري عن حضور الذات في تظاهرات مختلفة، ولكن ظهورها المستتر في "أستطيع" و"أكون" ينقل الذات المتكلمة إلى واجهة السياق الدلالي عبر "ألف المضارعة" الذي يُقدّر من يقوم بالفعل هو "أنا" المستتر، ومن ذلك يكون ألف "أستطيع، أكون" هو الذي يربط الفاعل بالفعل مباشرة، فتكون الذات والحدث معا في لفظ واحد مقترن بالزمن الحاضر، وإنّ فعل الاستطاعة مع فعل الكينونة هو التجلي الذي يخرج الذات من حالتها الثابتة إلى حالتها المتحركة، وبناء على ذلك؛ تظهر إرادة الفعل، وتكشف الذات قدرتها على التحرك والفعل وتحويل الساكن إلى متحرك، والمنفصل إلى متصل بالإرادة، و"الآن" هو النقطة الفارقة في تفعيل معنى الاستطاعة والكينونة، وهي في هذا السياق الدلالي تنقل إرادة الفعل من حالة إلى حالة أخرى مغايرة لما قبل "الآن"، وتظهر العلامات الرمزية أن الزمن الماضي مثل الذات قبل اللحظة الآنية في حالتها السكونية "لا أستطيع، أستطيع" وتتحرك في "الآن" مع تفعيل إرادة الفعل، كما تتحول إلى ذات فاعلة مع كل نقطة زمنية مفصلية في "الآن" تقترن أكثر بالاستطاعة والكينونة لتغير من نشاط خامل غير فاعل في السابق، مع كل تقاطع للذات في الزمن الآني أين تتبلور فكرة الفاعلية والتحرر والانعتاق من حدث وشعور سابق، وقد تضمنت "أستطيع أن أكون أكثر جرأة" أفعال تصف معنى الإقدام والتجرد من الخوف المرتبط بالماضي، "أتسلق، أقفز، أمشي" وتظهر هذه الأفعال الرمزية التنويع في الحركة، وانتقال الذات من حالة فقدان الثقة والراحة إلى حالة أخرى تمثل الثقة بالذات وتحميدها إلى أفعال انطلاقا من "الآن" نحو المستقبل، كما تضمنت "أستطيع الآن أن أكون أكثر شراسة" إرادة و طاقة الحماية والاندفاع الهجومي، وعبرت عنها الأفعال "أمرغ، أذوّب، أجذّف" ومعها ظهرت الذات في الضمير المنفصل "أنا" يحاكي طاقته الهجومية، والحرارية، ويحاكي صبره في بلوغ الغاية، كما يحاكي طاقة التجذيف التي تظهر الصراع بين قوته، وقوة التيار المضاد من أجل السيطرة على الواقع المفروض على الذات، إضافة إلى "أستطيع الآن أن أكون أكثر اشتعالا" وتشغل فيها الأفعال "أندلع، ألتهم، أحتفظ (جمرة)" على دلالة النار، وفيها تتخمر معاني الثورة بإقدام الشجاع غير الخائف، ليكمل السياق الرمزي "أستطيع الآن أن أكون أكثر جنونا" مع الأفعال "أفتح، أشد، أطفئ، أعلمك، أقرب، أتوغل" وفيها تتوقف الذات عن إرضاء غيرها وتستمتع لصوتها الداخلي حيث تترفع عن كل صوت آخر غير صوتها، وقد حملت هذه الأفعال مفارقات صاحبت فعل الاستطاعة والكينونة في الزمن الحاضر "الآن".

إن تكرار فعل الاستطاعة مع فعل الكينونة، هو قراءة الذات للأفق الزمني المستقبلي من نقطة البدء الزمنية "الآن" الحاضر، وهي إدراك لوعي الذات لتحقيق الممكن والقدرة على الفعل، وهي كما عند (عبد الرحمن بوزربة)، تتحرك عند (عبد القادر راجحي) من قصيدته "كعبة طماطم فاسدة":

بكثيرٍ من الدهشةِ، وقليلٍ من الاكتراثِ، أستطيعُ الآنَ أن أرويَ لكم نزيهَ الإشاراتِ، وأن أكونَ شاهداً على موتَي البطيءِ.. في دهاليزِ الميترُو الأخضرِ.. المحفورِ منذُ أكثرَ من قرنٍ.. في رحمِ السيدةِ العاقِرِ.. كأنها الوطنُ

المؤدّي إلى طابور الانتظار.. من أجل الحصول على لقمة عيشٍ سوداء.. أستطيع الآن.. أن أكون شاهداً على موتى البطيء.. لعلّي أحصل على نفسي الأمانة بالوهم.. وأنتهز فرصة الظلّ النائم في غابات الطريق الوارفة⁹.

على غير ما مرّ من تكثيف لفعل الاستطاعة والفاعلية في التغيير التي شهدتها المتلقي في "ممكن المستحيل" لن يقف على ذات الاستطاعة التي ظهرت في الخطاب الشعري "كحبة طماطم فاسدة"، وإنّ الاستطاعة التي وردت في هذا الخطاب الشعري لا تحمل ذات الاندفاع والجرأة والقوة التي تلاقت مع فعل الكيوننة في المرة السابقة، ذلك أنّ فعل الاستطاعة وفعل الكيوننة لن يكونا إلا كشاهدين ينقلان الحدث الذي وقع في الماضي: كنت وحدي/ حين دهستني العربات،/ مغنيا علي.. وسط جمع غفير¹⁰، وتنقل الذات كشاهد للحدث، الأسباب التي أدت لوقوعه، وحصرها في العلامة الرمزية "الإشارات"، وإن كانت إشارات الطريق هي دليل الذات للوصول للآمن إلى الغاية؛ فإن الإشارات في سياق المعاني دليل الذات إلى الموت، وقد ألحقت دلالة نزيف بالإشارات لتجلي مفارقة الطريق الذي تسلكه الذات، وتحولها من علامة للسلامة إلى علامة للخطر، وتحاكي دلالة النزيف التمثيل البصري لحالة الموت البطيء، وقد تشكلت مع رموز أخرى تسير في المنحى الدلالي العام لوصف الطريق القديم في سياق عدم وضوح معالمها عند دلالة "الدهاليز"، وطول مدة إنجاز الطريق "أكثر من قرن" وربط الدالتين بالعقم "في رحم السيدة العاقر" إحالة إلى إفلاس الجهة الوصية "الوطن" من دورها في حماية الذات، وإفلاس أخلاقي في تحمل المسؤوليات، وقيمة سلبية تكشف السبب الرئيسي لموت الذات البطيء، كما يحيل إلى طول مدة الإفلاس "طابور الانتظار" ويحتل معاني مفتوحة على قراءات متعددة، ولكنها تلتقي عند صبر الذات في تحصيل غايتها، وهي تسلك هذا الطريق الوعر، "لقمة عيش سوداء"، وصف سردي يبرر خروج فعل الاستطاعة عن الذات لاتصالها بجهة أخرى أكثر مسؤولية في موتها البطيء، فكل الطرق تؤدي إلى انتظار الذات لعملية الولادة "الإصلاح"، والانتقال من حالة ساكنة إلى حالة متحركة، وقد ربطه "بالوهم"، لصعوبة القبض على الحقيقة، ويشترك في منع حصول فعل الاستطاعة أو تفعيل الكيوننة في الماضي، وتحضر "الآن" كرابط بين حدث الماضي وتفعيل حركة الاستطاعة في الآن الحاضر، وتحرير بعض الأفعال من سكونها "أستطيع، أروي، أكون، أحصل، أنتهز" التي تعبر عن الذات والحدث والزمان الحاضر والمستقبل في كتلة مكثفة، تطلق معاني الأصوات في التعبير ونقل الحدث للآخر المتلقي رواية "أستطيع الآن أن أروي لكم" "أكون شاهداً" إذ تتوحد الذات مع الفعل لتروي شهادتها للآخر، ويتحول "الآن" إلى مكاشفة الماضي عبر ما ينقله الفعل المكرر في السياق الدلالي في نسق الخطاب الشعري "أكون شاهداً"، وهذا أقصى ما تستطيعه الذات في اللحظة الآنية "الشهادة" التي يتواصل من خلالها مع المستقبل، أمام جموع المخاطبين "لكم" وتحمل الشهادة النقل الأمين للحدث في التجربة المعاشة التي تتشكل مع الذات ومعاينة الواقع، كما تحمل في ذاتها القيم الإيجابية والانتصار للحقيقة، تتقابل فيها الذات الحاضرة مع المستقبل، فتستحيل مرآة الطريق في الماضي وتحوّله من أداة اتصال الذات بغايتها إلى أداة انفصال الذات عن غايتها، ومن علامة للحياة إلى علامة للموت، وفي المفارقتين تحتل الشهادة محاكاة الماضي في "الآن" من أجل تغييرها في المستقبل.

كما أنّ علاقة الذات والزمان انطلاقاً من اللحظة الآنية، يتجاوز قوة الذات وسيطرتها على الفضاء الوجودي لكليهما، والحاضر الآني هو المتحكم في الآت، انطلاقاً من نقطة انفعالية زمانية ومكانية، وهو تشارك يجتمع عند مفهوم "الانتظار" الذي أعطاه (الأخضر بركة) في قصيدته "إسفنجة مطبخ منسية في حوض غسل الأواني" أبعاداً مختلفة بدءاً من صورة الذات التي تكبر في الانتظار على مدى متغير، جسدياً ونفسياً، وصحياً.

إن ترقب الذات وهي تنتظر، هو تغير في الزمن في الآن ذاته، وما علاقة الكبر بالانتظار إلا تحرك للزمن في المفهومين، ومن ثم الشعور بحركة الزمن الذي تحاكيه القصيدة، وحالة هذا الكائن مع تغير الوقت، وربط هذه الحركة الوجودية مع الكائنات الحية، ثم يربط انتظار الذات في قاعات الانتظار باكتشاف الذات لذاتها ومن ثم ربط كل ذلك بالزمن "الآن" :

في قاعة الانتظار/ يمكن أن تدخن، إن كان مسموحاً بذلك/ يمكن أن تستغفر، أو تصغي إلى أمعائك الدقيقة./ أو تصغي إلى الضغط يتسكع فوق سطح العمارة./ أو تقرأ اللوحة: "veuillez patienter svp" خمسمائة مرة، أو تكتشف أن ذلك سقف،/ ذلك حائط،/ هذه نافذة، وتلك قدماء،/ وهذا أنت وقد كبرت قليلاً/ في الزجاج المقابل./ أو يمكن أن تتحدث مع الملائكة/ مادمت الآن في البرزخ،/ ما دمت الآن في التقق/ مادمت الآن في الحب/ ما دمت الآن في علبة الساحر./ ما دمت في قبضة غودو./ أو في أنبوب اختبار ما./ تكبر في انتظار الراتب،/ في انتظار تأشيرة المغادرة،/ في انتظار تحليل الدم/ في انتظار الصيف/ في انتظار الشتاء/ تكبر حتى/ لا يتبقى فيك شيء صالح/ لأن يكبر¹¹.

تكشف الذات عن نفسها من خلال الضمير المستتر في بنية الأفعال التي تصدرتها السابقة المورفولوجية "التاء"، وهي تنبه إلى وجود ذات فاعلة مستترة في بنية الخطاب الشعري، واللاحقة المورفولوجية التي مثلت ضمير الخطاب المتصل "الكاف"، والمنفصل "أنت"، حيث تتجلى الذات المتكلم عبر ضمائر المخاطب المختلفة، وتتوحد معها في فعل الانتظار، أو الإشارة إلى الذات عينها عبر ضمير خارجي يحاكي علاقة المشابهة بين المتكلم والمخاطب، لتعبر عن الذات في مطلق حضورها في ثنايا السياق العام لقصيدة "إسفنجة مطبخ منسية في حوض غسل الأواني"، يحضر فيها الحدث المسيطر في سياق البنية السطحية، "الانتظار" والزمان على مستوى البنية العميقة، وفيه يأخذ الانتظار بعده الرمزي للزمان وعلاقته بـ "الآن"، حيث يشير إلى تمدد الزمن المقطوع بين نقطة بداية الانتظار وربطها بنقطة تحقيق غاية الذات المنتظر، وبين هذا المسار الزمني يمتد عمر الانتظار الداخلي في نفس الذات، ليصبح أكثر طولاً، في "الآن" وقد عبر عنه برمزية "تكبر" وتكرار حضورها مع كل حدث يخلق توتراً وقلقا للذات، تصحبه دلالات مختلفة تعبر عن ردود أفعال لهذا التوتر الدلالي "تدخن، تستغفر، تصغي، تقرأ، تكتشف، تتحدث" وهي أفعال موازية للزمن النفسي، الذي يطول فيسع لفعل أحداث أخرى في لحظة فعل الانتظار، تقلل من حدة الشعور بالوقت، و تعبر عن محمول دلالي متنوع يحاكي فعل الانتظار بالوقوف في "المكان الآني" الفاصل بين منطقتين، تماماً كما يعبر "الآن" عن الفاصل الزمني بين الماضي والمستقبل، ينقل "الآن" الذات المنتظرة إلى فاصل بين الحياة الحاضرة والحياة في المستقبل، لتأخذ من معاني الوجودية بعدها الفلسفي، أين

يتشكل نسيج آخر من الوقوف في البين بين تحكمه علاقة الذات مع الملائكة في "البرزخ، النفق، الحب، علبة الساحر، قبضة غودو"، وتمثل الوقوف عند نقطة محايدة يحدها الترقب للعبور إلى حيث الخلاص، والبحث عن المعنى، كما تسيطر هذه الدلالات الرمزية على المعنى في علاقاته بالذات والزمان، في لحظة آنية يترقب فيها تحقق غايات متنوعة، مع تمدد عمر الآن الزمني لاستلام نتيجة ما، "راتب، تأشيرة، تحاليل"، ومع كل لحظة انتظار في "الآن"، تكبر الذات حتى تتجاوز انتظار وترقب المحمول المادي إلى المحمول الزمني "الصيف، الشتاء"، ليمتد عمر الانتظار في "الآن" إلى تعاقب الفصول، والعمر "تكبر حتى لا يتبقى فيك شيء صالح لأن يكبر"، وهي علاقة مطلقة تربط لحظة الانتظار بكبر الذات، مع تجدد "الآن" الحاضر في الانتظار، وربطه بالمستقبل إلى أن تقف النهاية للفصل بينهما، وفك الصراع غير المنتهي بين الذات والترقب في الزمن.

4. الآن وتجاوز الحاضر الزمني إلى حاضر الأبدية:

يتحول الزمن في حضور "الآن" من الزمن الخطي النمطي، إلى الزمن الأبدى، ويظهر ذلك عبر الرموز الدلالية التي تقف عليها البنى اللغوية في الخطابات الشعرية، إذ تحضر الذات خارج قيود الزمن المتحرك وتتجاوز عبر الآن، ليمتد في وعي وباطن الذات مشكلا ديمومة ساكنة، كما في قصيدة (عبد الرحمن بوزبة) "عودي غدا":
 وحينَ نكونُ معًا/ لا يكونُ سوى ما نُحِبُّ/ ولا أريدُ من الوقتِ غير انتحارٍ رحيمٍ/ على ذيل فستانكِ/ الوقت يعني الخروج من العالم الآن/ يعني الدخولَ إلى الضوء.. / معناه أني أصبحُ لها/ وأقول لكل الحقائق: / هذي أصابعُها/ ما الذي تستطيعي من العطر بعد أصابعِها/ وأقول لكل القصائد: / عودي غداً/ فأنا اليوم لا يوم لي/ لا شعري لي/ غير ما دسّه شعرها الليل/ في دهشة الريح/ لي ما نسي الطفل في القلب/ كي أستعيد الولادة/ إذ لا بداية قبلك/ لا عمر غير انتظارك في ردهة الشوق ..¹²

غالبا ما يكون الفعل هو الحدث الذي تحركه الذات في الزمان، فالذات والزمان في "أريد، أصبح" يشغلان المنحى الدلالي الذي ينقل الذات والزمن من نقطة "الآن" والاتجاه نحو الزمن الآت لتحديد صفة الإرادة أو الصيرورة، ويأخذ صفة التحول من نقطة ساكنة في "الآن" إلى أخرى متحركة يمثلها الحدث، وإن كانت الذات تريد تحريك كمون الإرادة والصيرورة فهي لا تقبل البقاء في النقطة الفاصلة "الآن" لتجسد حدث التغيير الزمني باتجاه الزمن غير المجسّد، كما تفعل مع فعل القول "أقول" حين تأخذ من خلاله القبض على اللغة وعزلها مؤقتا عن مجارة حقيقة اللغة المتعالية، التي يقبع داخلها في هذا الوقت المستقطع بعيدا عن لغة القصائد "أقول لكل القصائد عودي غدا"، تماما كما تفعل الذات حين تسيطر على فعل الإرادة فتوقف تمدد الزمن الفيزيائي "أريد من الوقت غير انتحار رحيم"، والذات في ذلك تسيطر على حركة الزمان وتخضعه لها، وتؤجل فعالية اللغة الإبداعية إلى أجل محدد سيأتي في المستقبل "غدا"، وذلك في لحظة التماهي في الضمير نحن المستتر "حين نكون معا" التي تقتضي وجود آخر ينقل الذات من عزلتها إلى حالة أخرى تمثل المشاركة في كيوننة الذات "معا"، وتنقل معنى التحول في "الآن" لتخرجه من معناه الحاضر وتنطلق به إلى عالمها الباطني، حيث يمثل نقطة التحول نحو فضاء مغاير يشغل على مفارقة "خروج، دخول"، تنقل الذات في "الآن" إلى عالم الضوء، بعيدا عن الزمن الآني المرتبط

بالوقت والظلام في العالم المادي؛ "الخروج من العالم"، فالآن هو الفاصل الذي يفتح بوابة لعالم الضوء "الدخول إلى الضوء"، ويمثل "الآن" لحظة ولادة للذات عند لحظة فارقة تمثل (الخروج من، والدخول في)، كي تستعيد الذات فيها ولادتها الجديدة "كي أستعيد الولادة/ إذ لا بداية قبلك" تمد الحياة المستمرة في الولادة المتجددة، في ثنايا رمزية "الانتظار" الذي يحمل من توحد الذات بالحدث والزمن الآتي، واستشراق حدث ما بعد الانتظار الذي يتحقق مع فعل الولادة، وفعل اللقاء "نكون معا" وتجدد الشوق في الزمن "لا عمر غير انتظارك في ردهة الشوق"، يحقق اتصال "الردهة" كمكان بزمان الانتظار وبالذات ويحدث الشوق الباطني، الذي يتقرب تحقيقه في الزمن "الآن"، فلا وجود لانتظار خارج "الآن"، كما لا عمر خارج هذه اللحظة الآنية، حيث يصير أن الانتظار هو الوعي المكثف للزمن المطلق، والعمر الذي يخضع لعدد الثواني والدقائق لا مكان له أمام فكرة تحقق الذات في انصهارها مع موضوعها وحصره في الزمان الداخلي الذي لا يخضع للعد، وإنما الانتظار هو الزمن الذي يخلقه "الشوق"، كذا يقول:

تأتين من جهة النبض/ كي تبدأ الأرض في الدوران/ وينكشف الليل/ يصحو النهار/ ويكتملان /.. ولا قمرَ
غيرك الآن/ لا مطرٌ غير عطرك/ ها شجرٌ للتحية/ يا أول الملوك وآخرهن/ سليله أندلس العاشقات/ خطى
الذاهبين إلى اللّارجوع/ عصافير كلّ السفوح/ حنين الأغاني إلى الأبدية¹³.

إن الانتقال في "الآن" تحدده الذات في خروجها من عالمها الخارجي، إلى زمنها الداخلي والوجودي الذي لا يخضع لمعايير الحركة الزمنية، وإن كان قد خلخل مفهوم الزمن الخارجي؛ فإنه قد غير من الرموز الدلالية التي تحملها حركة "الدوران، الأرض، والكواكب، الليل، والنهار"، وتمثيلها لدورة الحياة الكونية "الزمنية" وأصبغ عليها صفة السكون، وقيد حركتها و ربط نشاطها بتحقيق الترقب في "الآن" في لحظة الانتظار، وتفعيله لمعنى دوران الأرض، والحياة الزمنية بالقمر كمحور الوجود المتحكم في منطق الزمان الأرضي، وإن هذا "الآن" هو التحول الوجودي من لحظة ثابتة إلى متحركة، إلى مفارقة الغياب والحضور الذي حُصّ به القمر في "الآن" باعتباره الغاية المنتظرة في السياق الدلالي "لا قمر غيرك الآن" المفعل لنشاط دورة الحياة الزمانية، والوجودية، حيث يستطيع التلاقي بين غاية الانتظار مع المنتظر تغيير منطق الوجود والحركة، في لحظة اكتمال وجودي "ويكتملان" في مشهد التجلي الكوني عند نقطة فارقة ومحورية في الكون، توحدت فيه الحبيبة بالقمر، والذات بالحبيبة، مع الاقتران بالحدث في الآن، عبر الخروج من حالة زمنية سكونية إلى حالة أبدية والدخول في الضوء، بخطى الذاهبين إلى اليقين "خطى الذاهبين إلى اللّارجوع" واستحالة العودة أو الانفصال عنها بالرجوع إلى نقطة البداية ما قبل التوحد الكلي. فالحاضر الأبدي الممتد لا يستقيم مع حاضر الذات الفيزيائي المتقطع، وإن شكلت الآن الأولى نقل الذات من عالمها الزمني السكوني في توقف حركة كواكبه وأرضه عن الدوران إلى عالم الضوء؛ فإن الآن الثانية قد بدأت مع "نبضة"، وهي الآن الأبدي الذي يصمت فيه الزمان الكلي أمام الحقيقة، وبداية الحركة الفعلية.

إن هذه الآن التي تحدث مفارقة الخروج والدخول هي الشرارة التي توقد جدل الاتصال والانفصال الوجودي بين العالم المادي الزمني والعالم الأبدي، وتحاكيها بعض قصائد (الأخضر بركة) عبر الخروج من المكان للدخول في عالم يتوحد فيه جوهر الوجود، ففي قصيدة "فوت" يقول:

على زورق الصّيد ألقى طريقاً / هنا صخرة الزهد، أو... / حكمة العضلات التي روض الموج، ملح السقوط / على حافة الخطر العذب؛ أو / سوف ألقى كثيراً من السحر، لا غرور... / شيء من البحر يُعري هنا بالهبوط / حيز للتخي عن الآن، أو .. / مدخل الأبدية - يُروي .. / ألم يك قلبي نظيفاً ليلقاك. / أين الملاك الذي...؟ / فاتني أن أشدّ إلى حجر الشطّ حوتاً، وأنسى... / لقد ... / فاتني أن أراك¹⁴

تخضر الذات عند تقاطعات مختلفة يقف فيها حدث "اللقاء" متوحدا في الذات والزمان، عبر الفعل "ألقى" المتكرر في سياق دلالي، ممتد في نسق واحد، وهو إذ يحضر في الضمير المستتر "أنا"، ليعبراً سوية في الآن الأبدي، يقف عند نقطة مكانية فارقة "هنا" وهي النقطة المكانية التي تبدأ فيها رحلة الذات انطلاقاً من المكان، "صخرة الزهد" نحو مكان الأبدية، بحثاً عن مقام يطل على جمال تتوحد فيه الذات بجوهرها، في نقطة مكانية "يعري هنا بالهبوط" حيث تلتقي الذات بغايتها لتتوحد مع سحر الطبيعة، وهو غاية الذات في الابتعاد عن وجودها الخارجي، والتنجي عن زمانها عبر "الآن" "حيز للتخي عن الآن، أو.. مدخل الأبدية" وذلك أقصى ما تصله الذات في الخروج من.. والدخول إلى ..، انطلاقاً من نقطة زمنية، ونقطة مكانية، والاشتغال على فكرة العمق وما تحمله من جواهر وجودية تتجاوز فيها فكرة السطحية، إلى الغوص في الوجود من منطلق آني ومكاني يمثل لحظة البدء في "الآن" أو "هنا" في "صخرة الزهد" للوصول إلى الغاية الأبدية واكتشاف الذات، انطلاقاً من ذلك. وقد اختارت الذات لها مكاناً تلتقي فيه معها، لتمتد فيه معاً، وإذ كان البحر هو الممتد غير القابل للقبض، يكون الإبحار فيه هو بداية الاكتشاف غير القابل للنهاية، تستطيع الذات في غوصها أن تتلاشى في الأبدية وتتجرد من حضورها القديم الملوث بالمادة "ألم يك قلبي نظيفاً ليلقاك"، وإنما هو المادة التي تستطيع الذات فيه أن تتلاشى بمحولاتها المادية وتتطهر فيه من كل أوساخها أو أخطائها. وهو الذي يجمع بين الخطورة والعذوبة، كما يجمع بين الهبوط في العمق للصعود إلى الحقيقة في عملية معقدة لاستنطاق الكون.

لا يغيب تمثيل المرأة محاكاة الوجود في التصور الذي تخضعه اللغة الجامعة للجوهر في خطابات الكشف والتجلي الصوفي، فتخضع اللغة الشعرية لحركة الذات المتكلم والتحامها بالموضوع المستقل عنها، لقراءة الوجود من منطلق التجربة المعاشة، التي يتقابل فيها كل من المؤنث والمذكر في نص الخطاب الشعري، ففي قصيدة "انفلات المؤنث" ل(الأخضر بركة) :

نساء.. وراء النوافذ، / خلف الستائر أو خلف أبواب عمر انتظاراً، / يفسرهنّ السراب / وهندسة البيت، والمشيئة، / والهودج المتمايل في الريح، والنأي والنفزوي، / ينتشي طللٌ يتفقد أسماء شهوته إثرهنّ، / ويكتبهنّ الغياب. / الذي / سوف يأتي ولا يصل، الآن، يعبر من تحت أقدامهنّ إلى شأنه المتعالي، / على حجر الدهر يجلسن مسترسلات البهوت / يرمن ما يكسر الوقت من عظم رقائهنّ على عتبات الكهولة،¹⁵.

لم تحضر النسوة كذات فاعلة متحركة في نسيج الخطاب الشعري في هذا المقطع إلا خلف رؤية الذات المتكلم، ما يتوافق مع التمثيل البصري الذي وجدنا فيه، وتظهر ذات المؤنث غائبة غير فاعلة، مسكونة خلف العادات، والجدران، وخلف الصورة النمطية للمرأة المصانة بالستر، تكشف عنها دلالات "النوافذ، والستائر، أبواب" مع الأفعال التي تحاكي المعنى، وتعبّر عن زمن حدث السّتر والسكون "وراء، خلف"، حيث ينقل الظرف المكاني حضور الذات المؤنث في المكان العازل والمعزول عن العالم الخارجي، وينقل التوتر الدلالي "انتظارهن" توتر الذات المؤنث في المعنى المسكون بالجمود في غيابها عن الظهور، أو المشاركة في رؤية الوجود انطلاقاً من كينونتها والتعبير عنها بكل طلاقة، لكن هذا التّخفي يعبر عنه "السّراب" الذي ينقل صورتها للعالم الخارجي عبر المكان الذي تخفي خلفه، ومن العلامات الرمزية التي تشي بحضور الذات المؤنث "هندسة البيت، المشربّية، الهودج المتمايل" فهذه العلامات هي وجود حقيقي عازل للمؤنث عن العالم الخارجي، وتعبير عن وجودها الصامت، ينبوب عن صوتها "النّاي"، في دبدبات صوتية حزينة، إضافة إلى حضور "النفزوي" الذي يبوح عن الخفي في جسدها في كتابه "الروض العاطر ونزهة الخاطر"، فكان "النّاي، والنفزوي" صوت ذات المؤنث المغيّب في عالمها المسيّج، وهما الواسطة التي تربط بين عالمها الداخلي وعالمها الخارجي، وتنقل هذه الواسطة الرغبة المحبوسة المترقبة لتحقيق المعنى والغاية في "انتظارهن" زمناً طويلاً "عمر" في انتظار لحظة زمنية لا تصل يكتبها الغياب، كما "يكتبهن"، وهي اللحظة الآنية الفارقة التي تنفذ منها الذات المؤنث لتحقيق، يسقط فيها الستار، وتتجلى حقيقتها، عبر إصلاح الزمان في الماضي بعيداً عن تفسير "السّراب" الذي يشغله الزمن الماضي قبل الحيلولة في الآن الوجودي الأبدي، والذي تكشف عنه ذات المؤنث في إدراكها، وإصلاحها للافتقار الذي عايشته في تجربة قبل الآن، وقد أبان انتقالها في الآن عن وجودها ككيان يتمحور حوله الكون، ومرور الزمن "من تحت أقدامهن" هي محاكاة لخضوع سبق وعرفته الذات المؤنث "الجنة تحت أقدام الأمهات" وهو إذ كان يمر في الآن "تحت أقدامهن" إلى شأنه المتعالي، فإن الذات المؤنث من تحدد هذا التعالي عبر المرور تحت قدميها، ما يمنح النساء تعال يفوق التعالي الزمني، وغلبة الفوقية، إن هذا الفوق قد جعل ذات المؤنث تعلو على الزمان، وإن كان جوهر الزمان متغير؛ فإن جوهر الذات المؤنث ثابت، وفي لحظة الأبدية لا سلطة فيه للزمان عليها، كما لا وجود لكهولة، كذا الفعل "يرمّن" يمنح الذات المؤنث قوة التحكم والسيادة عليه دون وسائط خارجية، كما كان في المشهد ما قبل الدخول في العالم الأبدي الثابت الذي منحها ديمومة الحياة :

ولكنّك الآن يا أمّ .. أمّي / فمن أين تأتي التفاسيرُ والسّحرُ، / والعنصرُ اللغويّ الذي / ليس تمسّكه النّارُ في جُهدٍ كيميائها / خلصةً أتفقدها مثل طفلٍ سيسرقُ فاكهةً، / هذه المرأة الآن قد حملتني في بطنها أشهرًا .. تسعةً. / هذه اللحظة الصعبة السهلة المستحيلة والممكنة / كيف أكتبها / قُوّة الضّعف أنتِ التي هي أنتِ هنا وفقط¹⁶

تسترد الذات المؤنث حضورها في تجلي الضمير "أنتِ" وبلوغ "الآن" الأبدية في تقابلها مع ذات المتكلم الذي توحد بها صلة القرابة القوية في الوجود، وتختصره البنية العميقة "أمّ .. أمّي" وهو رباط وجودي قديم، يتجاوز الأم التي أنجبته إلى أمها الأولى، وعودتها في "الآن" يختزل الزمن القديم في مقام الأبدية، وتجاوزته للمادة التي يحدثها

التفاعل الكيميائي، فالذات المؤنث في هذا المقام ليست مادة ولا جسدا تستطيعه النار؛ لأنها باتت جوهرًا نورانيا لا يمكن إخضاعه لعناصر العالم المادي، والنار واحدة من هذه العناصر، لذلك هي تعجز أمام الحقيقة التي تنقلها اللغة، والكلمة أقوى دلاليًا من النار، لعلاقة البدء بالكلمة، وعلاقة ذات المتكلم بالذات المؤنث هي الكلمة "كن". كما ينقل النص في بنياته المختلفة تداخل عالمين مختلفين مثل "الآن" جسر الانتقال من العالم المادي إلى عالم الأبدية والروح، لا يحكمه منطق الزمان المتحرك، ولا منطق الجسد المادي، ولكنه الجوهر الثابت الذي يترعرع على "حجر الدهر"، فالذات المؤنث الكائن الذي تجتمع فيه القوة في الضعف، تتصارع فيه الأضداد، منذ حملت ذات المؤنث بذات أخرى في داخلها، وهي "هذه اللحظة الصعبة السهلة المستحيلة والممكنة" مفارقات كشفتها التجربة وعاشتتها، تعالت فيها الذات المؤنث وجوديا عند كل لحظة، وآن ينقل التجاوز من لحظة إلى لحظة فارقة.

5. الخاتمة:

في الختام تخلص الدراسة إلى أن هذه المقاربة لم تقف عند "الآن" كمادة جامدة، بل كمادة حية، كشفت عن التوتر الدلالي الذي تخزنه الذات في الخطابات الشعرية الجزائرية انطلاقًا من دينامية "الآن" وتفاعلها مع الذات، كما كشفت أيضًا عن جدل الاتصال والانفصال غير المنتهي بينهما، حيث تحركه هذه الوحدة الزمنية الفاصلة الواصلة انطلاقًا من علاقتها مع الزمان الماضي، والزمان المستقبل، والزمان الأبدي، وعند كل تمظهر تخلق أفعال وأحداث تتحرك وفقها الذات لتتنقل تجربتها غير المنقطعة مع هذا الزمان المركب في جوهر المتغير، وقد تجلت الكثير من المفارقات التي عمقت من هذا الجدل الوجودي بين الذات والزمان، كما كشفت هذه المقاربة عن العلاقة المكثفة والعميقة بين الآن والذات من خلال استنطاق بعض القصائد من مثل قصيدة الدغل والطواويس للأخضر بركة في علاقة الآن بالماضي، وقصيدة ممكن المستحيل لعبد الرحمن بوزرية، وكحبة طماطم فاسدة لعبد القادر راجحي، في علاقة الآن بالمستقبل، وقصيدة عودي غدا لعبد الرحمن بوزرية، وقصيدة فوت للأخضر بركة، ومثلت مقارنة الآن وتجاوز الحاضر إلى حاضر الأبدية، وغيرها من القصائد التي وردت في متن المقاربة.

6. الهوامش:

- ¹ الشريف الجرجاني، التعريفات، مكتبة لبنان، لبنان، دط، 1985، ص 35.
- ² أفلوطين، تاسوعات أفلوطين، تاسوعات أفلوطين، نقله إلى العربية: فريد جبر، مكتبة لبنان، ناشرون، ط1، 1997، ص 273، 274، أيضًا: عبد الرحمن بدوي، الزمان الوجودي، دار الثقافة، لبنان، ط3، 1973، ص 62.
- ³ الأخضر بركة، الأعمال الشعرية، دار ميم للنشر، الجزائر، ط1، 2013، ص 75، 76.
- ⁴ الأخضر بركة، الأعمال الشعرية: المصدر السابق، ص 93، 94.
- ⁵ الأخضر بركة، الأعمال الشعرية، المصدر السابق، ص 85.
- ⁶ المصدر نفسه، ص 84.

- 7 الأخضر بركة، الأعمال الشعرية، المصدر نفسه، ص78.
- 8 عبد الرحمن بوزرية، واسع كل هذا الضيق، دار الريحانة للكتاب، الجزائر، دط، 2007، ص120 - 123
- 9 عبد القادر راجحي، مقصات الأنهار، منشورات الوطن اليوم، الجزائر، دط، 2016، ص 27.
- 10 المصدر نفسه، ص 26.
- 11 الأخضر بركة، أبواب يقطر منها حليب الأشجار، خطوط وظلال للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2021، ص72 - 74.
- 12 عبد الرحمن بوزرية، الليل الذي اكتمل، الماهر للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2019، ص 75-77.
- 13 عبد الرحمن بوزرية، الليل الذي اكتمل، المصدر السابق، ص 77، 78.
- 14 الأخضر بركة، الأعمال الشعرية، المصدر السابق، ص14، 15.
- 15 الأخضر بركة، المصدر نفسه، ص 126، 127.
- 16 الأخضر بركة، المصدر نفسه، ص 128.

7. المصادر والمراجع:

1. الأخضر بركة، أبواب يقطر منها حليب الأشجار، خطوط وظلال للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2021.
2. الأخضر بركة، الأعمال الشعرية، دار ميم للنشر، الجزائر، ط1، 2013.
3. أفلوطين، تاسوعات أفلوطين، نقله إلى العربية: فريد جبر، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، ط1، 1997.
4. الشريف الجرجاني، التعريفات، مكتبة لبنان، لبنان، دط، 1985.
5. عبد الرحمن بدوي، الزمان الوجودي، دار الثقافة، لبنان، ط3، 1973.
6. عبد الرحمن بوزرية، الليل الذي اكتمل، الماهر للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2019.
7. عبد الرحمن بوزرية، واسع كل هذا الضيق، دار الريحانة للكتاب، الجزائر، دط، 2007.
8. عبد القادر راجحي، مقصات الأنهار، منشورات الوطن اليوم، الجزائر، دط، 2016.